محمد إقبال بين الشعر والتجديد

MUHAMMAD IQBAL BETWEEN POETRY AND RENEWAL

أ. د.فيضان الله الفاروقي*

ABSTRACT:

Allamah Iqbal (1873-1938) was one of the great Indian poets of Urdu and Persian who excelled in their field. They created what the others could not and on this very distinction they were celebrated by the readers and the writers as well. Iqbal was celebrated by the readers of India, Pakistan, Europe and even by the Arab world.

The fame Iqbal gained among the Arab readers and thinkers its credit goes to the great Indian scholar of his time Allamah Abul Hasan Ali Nadwi who translated first his verses from Urdu and Persian into Arabic in his famous book 'Rawai Iqbal'. This is the book which raised name and fame of Iqbal high to the sky. Several thesises were written on him.

Allamah Iqbal used his poetry for the best cause of Islam. He propagated Islam and Islamic teachings among his readers. His all poetic creations are full of this message. It is clear from the study of his verses that he was not of the poets who vasted their time and intellect for nothing. He utilized his intellect and ability for the best cause-preaching Islam and Islamic teachings among its readers. The following article will shed light on this central theme.

KEYWORDS: Allamah Iqbal, Poetic, Creations, India, Pakistan

الكلمات المفتاحية: العلامة إقبال ، الشعري ، إبداعات ، الهند ، باكستان

الملخص

العلامة محمد إقبال (١٨٧٣–١٩٣٨م) من شعراء الأردوية والفارسية الهنود الذين قد أبدعوا في مجالهم وجدّدوا ما وطأته أقدامهم وجاءوا بما عجز عنه الآخرون غيرهم. إن إقبال كان شاعرًا كبيرًا للأردوية والفارسية ومع ذلك فقد برع في الدراسات الإسلامية. من القرآن والحديث والفلسفة والتصوف وما شابهها. إنه فاق أقرانه في مجال الشعر حتى بشّر به العلامة شبلي لما رآه في مؤتمر بأنه سيبعث شاعرًا

* أستاذ، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي

تبلغ درجته ما قد بلغها أسد الله خان غالب الشاعر الأردوي والفارسي.

صدق ما تنبأ العلامة شبلي فنشأ محمد إقبال شاعرًا فلسفيًا وماهرًا في الدراسات الإسلامية ومفكرًا في القرآن والحديث، ولنا شواهد ودلائل على ما نقول في أبياته ومنظوماته وقصائده وحتى في غزلياته. لقد وجّه إقبال الشعر وجهة أخرى فاستخدمه لتبليغ رسالة الإسلام ولتوعية الجيل المسلم الناشئ. إنه ملأ شعره بعواطف الإسلام الجياشة وبتعاليم وإرشادات الإسلامية الأصلية. وكل من يقرأ أبياته يجد ما قلنا حيًا ثابتًا.

وعلى هذه الحقيقة فقد رغب العرب والمسلمون في ترجمة شعره الأردوي والفارسي إلى العربية ويرجع الفضل في ذلك إلى الشيخ العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي الذي ألّف كتابه البديع "روائع إقبال" الذي ترجم فيه أبياته الأردوية والفارسية إلى العربية. ومن ثم تحرّكالآخرون فظهر طوفان عظيم لترجمة أبياته الأردوية والفارسية إلى العربية فنجد "بال جبريل" في صورة "جناح جبريل" ومجموعة قصائده ومنظوماته الأخرى.

والمقالة التالية ستلقي الضوء على دور محمد إقبال في تجديد الشعر واستخدامه لهدف سامٍ ألا وهو تبليغ رسالة الإسلام.

مدخل في الموضوع:

وددت قبل دراسة شاعر فلسفي ومجدّد عبقري أن أعرض عليكم أيها السادة! حقيقة مستساغة من الناحية الدينية ولو لم تكن غير مأمونة العواقب من الناحية الفكرية الحرة. ذلك أن القرآن الكريم ليس كتابًا فلسفيًا ولا تخضع له النظريات الفلسفية من أخذ وردّ كما أنه ليس كتابًا علميًا يبحث في العلوم العقلية ويحلّل نظريات العلم ولكنه يطرح القضايا الكلية ويجعل منها منطلقًا للبحث والتقصّي. إنه يحث العقل البشري على التأمل والخوض في آيات الله جلّ مجده ليستنتج منها ما ينفعه ويسعده. إن الحياة البشرية تمتاز بعضها من بعض على مقدار حظ العقل من العلم ونصيب الوجدان من مرهفات الحس. فإن البوارق الفكرية واللوامح الذهنية والخوالج الحسية الصافية المتدفقة والبراعة التامة البالغة في الإبلا غ والتفهيم، هذه هي الجواهر الأصلية في الإنسان، التي تمنحه أسباب تفوَقه وعلى أساس ما نتج له من ثمار التحقيق العلمي يكون موضعه بين ثمار العقول بعد وضعه في موازين النقد والفك. هذا بوجه شامل، أما إذا كان النطاق العلمي والثمار الفكري يتعلق بالمحاولات التجديدية في الدين، فنشترط فوق ذلك إخلاص النية في إبلا غ الرسالة والإطاعة الكاملة للسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام. ولو انسلَت هذه الشرائط التالية عسى أن لا يكون صاحب ذلك الأدب التجديدي موضع ثقة عند عباد

الله الصالحين ولو صاد الكون عقلًا وقاد القوم علمًا– يجدر بنا أن لا ننسى هذه الكلمات في دراسة فكرة محمد إقبال من ناحية الرد والقبول.

إقبال شاعر متميّز:

امتاز محمد إقبال الشاعر الكبير والفيلسوف العظيم بين شعراء عصره شرقًا وغربًا بأنه أخضع شاعريته القوية وقوته الأدبية وعبقريته الفنية لرسالة الإسلام. إنه كان صاحب رسالة إسلامية متدفقة بالحياة والطموح والحماسة. استخدم الشعر كوسيلة لرسالته لتكون أسرع وصولًا إلى الأذهان فيوقظ غافلًا وينبّه ذاهلًا ويعلّم جاهلًا ويكرّم عاقلًا ويشجّع فاشلًا ويهيّج خاملًا ويحرّك جامدًا ويحيي قلوبًا ميتة ويملأ الفؤاد حماسة، حماسة دينية. لا يسع هذا المقال الوجيز حتى إحاطة شطر من ابتكاراته الفنية وأفكاره البديعة الرائعة فضلًا عن أن يحيط بآفاق فكرته كافة – ولماذا؟ ونحن في خضم البحث عن محاولاته التجديدية. ولنبحث عن وقعة شعره وأثره على المجتمع الإسلامي وضرورة استخدام شعره عمليًا في حياتنا اليومية، في مقال آخر إن شاء الله.

وضع العالم الإسلامي في عصر إقبال:

كان العالم الاسلامي في قارة آسيا في عصر إقبال (١٨٧٣–١٩٣٨م) يواجه التيار الحضاري الأوروبي الثائر على القيم الروحية، المجتاح للمبادئ الخلقية، المعاند للسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام. أما داخل الهند فكان الإسلام رغم جهود العلماء المخلصين وزعماء المسلمين الصالحين، قد عمل به الاحتلال البريطاني وسلطتها السياسية عملها في إغماض العيون وتكبيل العقول وعقل الإرادات وعقد الألسنة وهذا بالنسبة للمواطنين كافة. أما المسلمون فكان يعتبرهم الإنجليز من أشد أعدائهم دينًا وثقافة وسياسة وبما أنهم سلبوا الحكم والسلطان منهم فقد كانت الضغطة عليهم أشد قهرًا وأفجع قسرًا. فالاحتلال البريطاني حاول جهده لامتصاص كل خيرات الأمة المسلمة وسجن أروع حضاراته وتعويق أعظم ما كان عندها من القيم الروحية والثقافية. وازداد الطين بلة بشيوع فلسفة وحدة الوجود المؤدية إلى تضعيف الهمم ووهن العزائم وكذا إلى الخمول والجمود والابتكار عن الكرامة البشرية بواسطة الفناء والإيمان بالجبر. وإلى جنب ذلك قد أبدع المتصوفون طرقًا في الدين نكرتها الشريعة النبوية الصحيحة الخالصة ولم يعرفها القرآن الكريم إطلاقًا – واتخذ هؤلاء الصوفية لهم زوايا تنشر عقائدهم الفاسدة بين المسلمين. أما المدارس الدينية التي لا تزال تعتبر ملاذًا قويًا وحصنًا حصينًا للتعاليم الدينية والثقافة الإسلامية، فمعظمها كانت تهتم فقط بالدراسات الجامدة البالية وتعليم ما رثّ من العلوم العقلية التقليدية براءة منها لأداء الواجب، لا فيها شعلة حياة ولا نبضات كرامة دينية وحرارة الحب إلى حرية

الفكر والعمل ولهوف الوجدان. كانت المدارس الدينية على وصف ما قال الأستاذ الكبير أبو الحسن علي الندوي في المدنية الحديثة:

"لم تحسن توجيه القلوب والوجدان وإشعالها بحرارة الإيمان وحياة الوجدان فأصبح العالم العصري أشبه بجماد متحرك دائريًا لا حياة فيه ولا روح ولا قلب له ولا شعور ولا ألم عنده ولا أمل" (روائع إقبال)

تنشأ تلك المدارس جيلًا غير متوازن القوى قويم الخلق قوي العزم مرهف الفكر ملتهب الشعور والوجدان. فما ذا يعمل شباب هذا الجيل السقيم المشرف على ضياع تشخصه المستكان في نضال الحياة. فالمدارس كانت تتخبط في ظلمات بعضها فوق بعض.

دور إقبال في هذه الأوضاع:

كانت هذه هي الأوضاع السياسية والدينية الثقافية في عصر عاش فيه محمد إقبال— طبعًا إنه كان، بحكم شعوره المرهف وإخلاصه بالدين، شديد الألم على ما تقاسي الأمة المسلمة آنذاك من الشقاوة والانهيار الفكري والرضا بالهون والذل. لقد أقضّ هذا الوضع المخزي مضجعه. ففكّر وقدّر ثم قدّر وفكّر ولم يزل يكرّر هذا العمل ليعرف داء الأمة فردًا وجماعة ثم يصف لها وصفة. ولم يغادر منهلًا علميًا ولا منبعًا فكريًا سواء كان قديمًا أم جديدًا، شرقيًا أم غربيًا حتى ارتوى منه واعتنى خاصة بالقرآن الكريم في أسفاره الفكرية، كما إنه اجتنى كثيرًا من أزهار روضة "المثنوي المعنوي" للمولانا روم حتى تفَتح طيبًا وعطرًا. وشرح الله تعالى صدره بوصف دواء ومعرفة داء الأمة. وأنطقه ببعض الحكم والحقائق التي نعتبرها الآن من محاولاته التجديدية والتي جعلها محمد إقبال نفسه مقصدًا وحيدًا لحياته كأنه خلق لنشر هذه الرسالة. يقول في رسالة إلى صديق له:"إني قد نظمت مثنوي "أسرار خودي" (أسرار معرفة الذات) و"رموز خودي" (غوامض السكر) لهدف منشود. إني أميل طبعًا إلى السكر وعالم الوجدان. ولكن، بالله الذي بيده حياتي ومالي وعرضي، ما نظمتهما من عندي ولكني كنت مأمورًا به. وإني لحيران في هذا الأمر لماذا انتخبت لهذا العمل الجليل ولنظم هذه المعاني والحقائق الغامضة الدقيقة. لا أزال اعتقد أنه كان دَينًا عليّ أدّيته ولعلي خلقت لمجرد هذا العمل. (ثم يقول في نفس الرسالة) هذه البذرة التي ذرعها إقبال في أرض ميتة لتنمو وأيم الله وتثمر على رغم جهودها ومخالفتها لقد أضمن لي حياتها وبقائها وازدهارها والحمد لله" (رسالة إقبال إلى مهاراج كشن براشاد في ١٤/ أبريل ١٩١٦م)

هدف محمد إقبال:

هذا هو الذي جعله شاعرنا مقصد حياته ووجد فيه شفاء الأمة الإسلامية ولم يكن هذا العمل الجليل وليدة عشية أو ضحاها بل استغرق فترة عشرين عامًا في الوصول إلى هذه النتيجة كما صرح به محمد إقبال نفسه في رسالة له. أما جهة رسالته وغايته فيلقي عليهما الضوء ما قال الدكتور في محاضرته الرابعة: "على الأمة المسلمة مسؤولية كبرى يجب عليها أداؤها. وهي إعادة النظر في النظام الإسلامي بدون أن نقطع صلتنا بالماضي".وما هي المحاولة التجديدية أو رسالته إلى الأمة المسلمة بل إلى العالم كافة. عرفها الدكتور باسم وجيز "خودي" أي "الأنانية" وفي أوسع معناها معرفة الذات أو النفس، هذه هي النقطة المركزية والركن الأساسي لفكرة محمد إقبال وكل ما أنتج شاعرنا يدور حول هذا الركن الأساسي بألوان رائعة متنوعة.

لست أريد أن ألقي ضوءًا على جمال فنه وروعة أسلوبه وابتكار معانيه العالية وسموّ فكرته وأبعاد آفاقه الشعرية اللهم إلا أنه جعل الشعر وسيلة لإبلاغ رسالته الخالدة الحية المنيرة الحافلة بالحماسة الدينية حين تكاثف الظلام البهيم وكبت الأقلام وجمدت القرائح وخمدت المشاعر والهمم وتناسى الكثير ضعفهم وظن فريق منهم أنه على الحق تستقيم خطواته وبالحق تهتف كلماته ولو كانوا في ضلال مبين.

دراسة شاملة لشعر إقبال:

عشتُ مع إقبال برهة من الزمن في إعداد هذا المقال وتعمقتُ حسبما وفقتُ فيما نتج له من ثمار الفكر لا سيما في اللغة الفارسية فوجدته على ذروة فكرته من ناحية الاجتهاد أو التجديد في "أسرار خودي" و"رموز بى خودي" مثنويان لمحمد إقبال باللغة الفارسية فرغ من نظم الأول عام ١٩١٤م، وعقبه الثاني حتى أتمّه عام ١٩١٨م. وله عدة مجموعات أخرى باللغة الفارسية والأردوية.

ملخص ما أفاد محمد إقبال في "أسرار خودي" و"رموز بى خودي" أن القدرة المطلقة (جلّ شأنه) أودعت كل بشر صلاحية غير متناهية الحدود للفكر والتدبر والخوض والتأمل كما أنها أودعت الجبلة البشرية الجهد والسعي في العمل. تطلب منا القدرة المطلقة أن نستخدم تلك المواهب الفطرية ونرقيها ونربيها. وإنما يشكل لفرد أنانيته الذاتية المنفردة بالبقاء حسب رقي تلك المواهب في انسجام وتوازن وتناسق مطلوب. أما الأنانية وبكلمة الشاعر "خودي" فهي تنقسم إلى قسمين: الأولى أنانية المخلوق وهي محبوسة بين حصار الممكنات الكونية، والثانية أنانية الخالق وهي غير متناهية. لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وإنها وسعت كل شيء عملًا. وهذا الكون العظيم بكل ما فيه من الطبيعة وما بعدها مظهر تلك الأنانية المطلقة لولاها لما حدث العالم ومظاهره. أما هدف الحياة البشرية فهو أحكام الأنانية متفردة على حدة، لكل فرد أنانيته الذاتية، ثم ترقيها حسب التوفيق. ولا يجدر لأحد أن يتكأ

على نصيبه المقدر له من قبل في سبيل تشكيل أنانيته وما يشاء. ولا يستقر عمل الترقية والصعود إلى حد بل إنه جارٍ غير ثابت حتى بعد الموت. والفرد حرّ في إرادته لا جبر عليه، مستقل في ذاته بحكم الآية الكريمة "لا تزر وازرة وزر أخرى" أي لكل وازر وزره، وهو خليفة الله في الأرض واجتباه ربه "ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى" و"إني جاعل في الأرض خليفة" و"وهو الذي جعلكم خلائف الأرض" وفوق كل ذلك الإنسان حمل الخلاقة والأمانة من إرادته واختياره لم يكن هناك جبر "إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان" بناء على استقلاله الذاتي والإرادي إنه مأجور على ما عمل هو بنفسه ولا ينفعه ما عمل غيره وبالعكس حسب الآية الكريمة "ليس للإنسان إلا ما سعى" ثم عمل السعي لا يقف عنده مكانًا وزمانًا. ولا تجعله الأنانية المطلقة عرضة للضياع شوقًا منها فيه بل للفرد أي الأنانية المحدودة حرية القول والعمل "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" (أنظر للتفاصيل محاضرة محمد إقبال الرابعة). وإذا نضجت هذه الأنانية الذاتية وتكاملت لفرد، إنه أدّى حق الحياة وأوفى غاية تخليقه. ومعنى تكامل الأنانية الذاتية هو الاتصال الكامل بالأنانية المطلقة لا في معنى الفناء كما تزعم به الفلسفة الوجودية بل مع الحفاظ على تفرده الذاتي. وإذا حصل لها هذا المعنى سهل عليها تسخير الكون وحتى تسخير الأنانية المطلقة بمعنى أنها تميل إلى الأنانية المحدودة. كما قال جلّ مجده "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى" و"يد الله فوق أيديهم" هذا هو مفهوم التسخير التام والاتصال بالأنانية المطلقة الذي هو مقصد الحياة البشرية.

أما السؤال، كيف يحقق هذا الغرض النبيل وماذا يجب على الفرد أن يعمله لتحقيق الغرض المنشود؟ سؤال هامّ وأيم الله. أجاب شاعرنا على هذا السؤال بأنه ممكن التحقيق بخلق المقاصد والطموح في الحياة الباطنية والخارجية. ثم يقترح الشاعر المجدد بالحركة والعمل والحنين إلى التمنيات والشوق البالغ في رفع مستوى الأنانية الذاتية عن طريق الحب والشعور والعاطفة والوجدان لا عن طريق العقل والفكرة الجافين المحدودين. يقول:

ما ز تخليق مقاصـــــــد زنده ايم	از شعــــــــــــــاع آرزو تابنده ايم
زنده را نفی تمنا مرده کــــــــــرد	شعله را نقصان سوز أفسرده كرد

تعريب: تتدفق فينا الحياة بواسطة الطموح والنشاط، ونستنير بنور التمنيات ولمعها، من يئس من الطموح لقد مات ولو كان حيًا في أعين الناس فإنه كمثل شعلة خسرت حراقتها فخمدت (أسرار خودي)

يعتقد الفيلسوف أن الحياة هي حركة وتغيّر كلها فكل مظاهر الحياة تقتضي الحركة والتغير واستنبط به

في محاضرة له (المحاضرة السادسة لمحمد إقبال) على ضرورة الاجتهاد في الدين في كل عصر إذا اقتضت به الضرورة. ولا يرى أن الاجتهاد في الإلهيات الإسلامية والشريعة النبوية، قد انغلق بابه. أما الحصول على هذا الحب وذلك الحنين في سبيل تخليق المقاصد في الحياة يجب على الفرد من أجله أن يتخلق بخلق من تكاملت له أنانيته الذاتية وها هو الإنسان الكامل في شعر محمد إقبال ويمثله في أروع صوره وأكمل صفاته شخصية محمد رسول الله ﷺ يقول:

در دل مسلم مقام مصطفى ست	آبروئ ما ز نام مصطفـــى ست
روز محشر اعتبـــــــار ما ست او	در جهان هم پرده دار ماست او

تعريب: يكنّ المسلم حبّ محمد ﷺ بين جنبيه حبًا لاهوتيًا وله مكانة عظمى في صميم كل مسلم والحق أننا نعتز باسمه ﷺ، وعليه الاعتماد يوم الحشر (أسرار خودي).

وأيضًا يقول:

توهم از بار فرائض سر متاب	برخورى از عنده حسن المآب

تعريب: لا يثقل عليك التكاليف الشرعية فإذا فعلت ذلك سوف يكون لك الحظ والنصيب من الآية الكريمة "عنده حسن المآب".

كما زعم إقبال أن هناك ثلاث مراحل في سبيل تكامل الأنانية:

المرحلة الأولى: هي الإطاعة والخضوع الكامل للسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام يقول:

شكوه سنج سختئ آئيں مشو	از حدود مصطفى بيروں مشو

تعريب: لا تشكو حدود الله والتكاليف الدينية، ولا تتجاوز عما جاء به محمد ﷺ أي سنته.

والمرحلة الثانية: هو الإمساك عن الهوى النفسانية والقدرة التامة على الصبر ومخالفة النفس. وإذا اجتاز المرء عن هاتين المرحلتين، فاز بالمرحلة الثالثة وهي نيابة الله تعالى وخلافته في الكون فإن حصلت له هذه الملكات يخضع له الكون بكل ما فيه من خفايا وظواهر ومظاهر الطبيعة وما بعدها وإنما خلق الله العالم ليسخر الإنسان عن طريق تكميل أنانيته قال تعالى: "وسخر لكم ما في الأرض جيمعًا" ويرى الشاعر أن مظاهر الحياة كلها مرهونة للأنانية لولاها لما كانت الأجرام والأجساد تتدفق بالحياة. يقول:

پيكر هستى ز آثار خودى ست	هرچه من بينى ز أسرار خودى ست

تعريب: كل ما ترى من الأشياء والمادة وجودها مرهونة للأنانية (أي فلسفة معرفة الذات أو معرفة الذات مجرد تسبّب للوجود)

وفي نظر إقبال هناك صفات تحكم الأنانية وأخرى توهنها، أما من الخصائل النافعة المحكمة فمنها الحب والفقر أي الغنى عن السؤال والصبر والشجاعة وكسب الحلال والحركة الدائمة إلى خلق العالم الذاتي في العالم المادي وذلك لأن الشاعر يعتقد أن عمل الخلق والإبداع جارٍ غير ثابت وهذا هو مفهوم الآية الكريمة "كل يوم هو في شأن" فإن فازت أنانية الفرد بمرتبة نيابة الله في الكون عليها أن يمثل صاحبه وإذا جمدت خمدت ولو كانت حية في أعين الناس وهذه الأنانية الفردية لا تنضم إلى الأنانية المطلقة في مرتبة النيابة ولا تنجذب فيها يقول:

به بحرش گم شدن انجام ما نیست	اگر او را تو در گیـــری فنا نیست

تعريب: ليست نهاية الأنانية أن تفني استقلالها الذاتي باتصالها بالأنانية المطلقة فإن اتصلت أنانية الفرد بها أي عرفت نفسها فعرفت ربها ولا يكون هذا الانضام والاتصال فناء الذات أو أنانية الفرد (أسرار خودي)

نعم يقول:

حرف "إني جاعل" تقــــــــــدير أو	از زمين وآسمــــــــــان تفسير او
مرگ وقبر حشر ونشر احوال اوست	نور ونار آن جهاں اعمال اوست
از وجودش اعتبـــــــــــار ممكنات	اعتدال او عيـــــــــــار ممكنات
آنچه در آدم بگنجـــــــد عالم ست	آنچه در عالم نگنجد آدم ست (جاويد نامه)

أما من الأخلاق الموهنة فمنها الخوف والسؤال والعبودية والفخر بالنسب والرهبانية يقول:

زهد وتقوى چيست اے مرد فقير	لا طمع بودن ز سلطان وأميـــر
گر بدست آيد تراگنج ونقـــــود	ورنه داری همت عالی چه سود (أسرار خودي)

تعريب: يصف الشاعر الأنانية قائلًا: يكرم الله تعالى شأنه الأنانية باستخلافها في الأرض "إني جاعل

في الأرض خليفة" وكل ما ترى بين السماء والأرض فليس ذلك إلا تفسيرها– الموت والحشر والنشر كلها من أحوالها وكوائفها فهي لا تزال حية يطرأ عليها هذه الأحوال كما أنها تجزى بالنار أو النور أي الجنة أو جهنم في العالم الباقي لولاها لما كانت للمسكنات ثقة وقيمة — اعتدالها عيار الممكنات فان انحرفت عن الاعتدال فسد نظام الكون. والذي يسع هذا الكون العظيم هو الإنسان بواسطة إكمال الأنانية والذي لا يستطيع الكون مع كل وسعته وفسحته أن يسمعه فهو الإنسان. ملخص القول العالم محيط بالآدم ولا يستطيع العالم أن يحيط به. (مقتبس من جاويد نامه)وله غير ذلك من العقائد الفلسفية المتعلقة بالدين كما أنه يزعم أن الجنة وجهنم هما حالتان وليستا من الأماكن أما جهنم فهي حالة تحقيق خسران الفرد ونارها تصل إلى القلب وها هي نار شعور اليأس والحرمان واستنبط بقوله تعالى شأنه "نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة" وكذا الجنة هي مشاهدة المرء بفوزه وأنه يؤكد كل تأكيد ويجهر به جهرًا إن الاجتهاد في مبادئ أصول الدين والشريعة ضرورية في كل عصر وتحدث عن التصوف فانتقد نقدًا مرًّا على بعض رجاله المعاصرين والمتقدمين والحقيقة أنه لا ينكر التصوف الإسلامي القرآني بل يندّد على ما زادوا عليه من بدعات وخرافات وتطرف بعضهم في ترك الدنيا.

مدى تحقيق آماله والسبيل إليه:

لا شك أن محمد إقبال شاعر عبقري، شاعر الطموح والحب والإيمان. إنه أحدث هزة في الأفكار والآداب في معظم البلاد الإسلامية وأوسعها ويتجاوز تأثيره إلى أقطار بعيدة ويسمع له صدى عبر العالم الإسلامي، وصدق في وصف شعره الشيخ الكبير السيد أبو الحسن علي الندوي:

"هذا الشعر تهتز له المشاعر وتتوتر له الأعصاب ويجيش له القلب وتثور له النفس حتى تكاد تحطم السلاسل وتفك الأغلال وتتمرد على المجتمع الفاسد وتصطدم بالأوضاع الجائرة وتستخف بالقوة الهائلة".هذا صحيح ولا شك ولكن كما ذكر الدكتور عابد حسين في شعر محمد إقبال:

"والحق أن شاعرًا من أشعر شعراء العالم لا يستطيع فوق ذلك أن ينفخ روح الحياة في جسد ميت ولكن لا يرجى من أمثال هؤلاء الشعراء الكبار قيادة أمة أحياها من شعره في مختلف ميادين الحياة المعقدة" (هندوستاني مسلمان آئينۂ أيام ميں)

اعتقد أن الناس عكفوا على شعر إقبال وأعجبهم روعته وابتكاره وتناول بعضهم فلسفته وحلّله تحليلًا نقديًا ولكن فلسفته الجديدة أو رسالته التجديدية قد اختفت وراء روعة الفن وسحر الكلام والآن لا نجد أحدًا فهم الإسلام أو نال سعادة مرجوّة عملًا بما جاء به إقبال من رسالته التجديدة اللهم إلا امتلأ صدره حرارة وحماسة، أما الشاعر نفسه فهو فاق الناس جميعًا من ناحية حبه وإخلاصه للغاية وهي نشر

رسالته وإنما يتفاضل الجميع بقوة الحب والإخلاص لغايتهم— إذا فاق أحدهم الآخر فإنما يفوقه الإخلاص لأن الغاية أو الموضوع حلّ في قرارة نفسه وسرى منه مسرى الروح وملك عليه فكره وقلبه وقهر شهواته فشاعرنا عكف على إظهار ما جاش به صدره عكوفًا صرفه عن الجمع بين القول والفعل، والظاهر والباطن — ومن شأن المجدد الرباني أن يفعل أكثر من أن يقول، ويعمل أولًا بما يبلّغه.

خاتمة البحث:

وكما هو المعلوم أنّ هناك عدة جهات لفكرة محمد إقبال فله نظريات في السياسة والاجتهاد تتجلى معظمها في محاضراته التي ألقاها في مختلف المدن— أما ما يتعلق بالمحاولات التجديدية في الدين فنجدها أيضًا بالصراحة والوضوح الكامل في محاضراته أو رسالاته إلى معاصريه وأما شعره فلا نجزم بالقول أن هذا الشعر عقيدته لمجال التوسع في الشعر فكثيرًا ما يهزّ الشعر أوتار القلوب لجماله الفني وإذا وجدنا ذلك المعنى في النثر ربما نرفضه أو نعترف بقيمته العقلية على الأكثر.

فإن تناول أدبَه أحدٌ من ناحية الفن والتوجيه الفني ويراجع المصادر النثرية له فإنه يجد لشدة دهشته أن هذا الأدب يتحول في نهاية المطاف إلى الفلسفة الفنية ولا يكتسب الدارس شيئًا من أمل مرجو بل يرجع بخفي حنين بعد هذا الجهد المكلّ والتعب المضني ويظل تائهًا في دنيا الآراء المتضارية والنظريات الفلسفية الغامضة يخبط خبط عشواء دون أن يهتدي إلى الحق والصواب سبيلًا. فالحق، والحق أحق أن يقال، أن إقبال لم يوفق لتأسيس مدرسة مستقلة في الإلهيات الإسلامية، تقوم على ساقها وتتمسك بها جماعة للحصول على السعادة المرجوة فالضرورة تقتضي الآن أن لا نتناول فكرة إقبال من ناحية الفن والفلسفة فقط بل نحاول تحقيقه عمليًا وهذا التحقيق متعذر المنال كما اعتقد لو لم تكن هناك معاهد خاصة تعتني بتجسيد ما أوصى به إقبال من تثقيف الجيل المسلم الناشئ عمليًا يعرف قيمته ومكانته، لا تهتم بتحليل آرائه الشعرية والفلسفية فحسب.

واقترح على تلك المعاهد التي ستتولّى تجسيد فكرة إقبال عمليًا أن لا تضيع وقتها الثمين في طلب إنسان مثالي كامل لتتخذه دليلًا له بناء على أن دنيا العمل غير عالم الفكر والخيال وتستفيد بكل من يخضع للسنة النبوية وله إلمام تام بها فإن هذا الإنسان ولي من أولياء الله في عصرنا هذا، من تمسك به لقد تمسك بالدين وحقق له بعض ما ينويه إقبال ولو لم يفهم رسالة إقبال المغلقة ومن وقف عن العمل حتى يجد ذلك الإنسان الكامل فعلًا، الذي صوّره إقبال محلًّى بالصفات التي تتكامل بها الأنانية فإنه: أضاع العمر في طلب المحال.